



## ثورة سنة ١٩١٩

[ للأستاذ عبد الرحمن الرافعي بك ]

منذ سبع وعشرين سنة زلزلت أرض مصر بثورة انفجر فيها غضبها مما نزل بها ، وجاش فيها تيار وطنيتها بمد أن عب عبابه ثم اندفع ذباداً عن كرامتها ؛ وقد كان هذا الحادث العظيم من مفاخر مصر التي تبقى على وجه الدهر صفحة مجيدة يزدهى بها كتاب جهادها .

ولقد كان كل مصري يود لو يهض لتأريخ هذه الثورة عالم ثبت يحصى كل ما ذهب فيها من ضحايا وخسائر ، ويسجل ما عانته البلاد في سبيلها من مشقات وشدائد ، عادل تزيه يتولى درسها وتجليل أحداثها بروح الحق والإنصاف ، فلا يستميله هوى ، ولا يلوى به أرب .

وظلت هذه الأمانة تعتلج في صدور أبناء مصر هذا الزمن

الطويل ، حتى ظهر في هذه الأيام كتاب قيم في جزئين كبيرين يؤرخ هذه الثورة الشاملة من قلم رجل أجمت الأمة على صدق وطنيته وسمة إدراكه وعظيم جهاده ، ذلك هو الأستاذ الكبير عبد الرحمن الرافعي بك الذي توفّر منذ عشرين سنة على دراسة الحركة القومية من فجر انبعاثها في مصر الحديث ، وأخرج في تأريخها أتممة مجلدات غير هذا الكتاب الذي بين أيدينا اليوم ، جعلها سلسلة متصلة الحلقات تؤرخ كل حلقة منها فترة من هذه الحركة أصدق تأريخ وأوفاه ، حتى لقد أصبحت هذه المجلدات النفيسة أوثق الأسانيد وأصحها لتأريخ مصر الحديث

قال مؤرخنا الجليل في كتابه الحديث: « إنه عرض وتأريخ لثورة سنة ١٩١٩ أعرضها وأورخها كما أرخت الثورة العراقية من قبل ، فهما ثورتان متماقتان في تاريخ مصر الحديث تتشابهان في الأغراض والمقاصد ، وإن كانت الثانية تفضل الأولى في النتائج » ولما كانت هذه الثورة قد شبت عقب الحرب العالمية الأولى ، فقد مهد المؤلف بسدر صالح من القول فيما كانت عليه مصر أثناء هذه الحرب من سنة ( ١٩١٤ - ١٩١٩ ) وما أصابها في هذه

إلى داره مبكراً ليقدم إليه جميل العذر ، فالعذر مقبول عند كرام الناس ، وأنه ليصالحه إذ يسأله في تأثر :

— أحق أنك وظفت في الديوان ؟ ! ...

— أجل يا مولاي ، ولقد قضت بذلك ضرورات اجتماعية ، وسأخدم المهدي الذي له على فضل وافر ، وأنا خارج عنه ، أكثر مما أخدمه وأنا فيه .

وكانت هذه الجمل التي خرجت من قلب الفتى يتهدج بها صوته في نبرات الصدق والإخلاص والوفاء بلما لتأثر المدير الوقور ، فهتف قائلاً :

— سنرى ما يكون من البر بوعذك الذي اقتطعت على نفسك . وتلا ذلك صمت أدرك الفتى منه أن المياه قد عادت إلى مجاريها أو كادت ، فيستأذن منصرفاً إلى تأملاته في الحياة والأحياء ، ماذا كان أمره من قبل وإلى ماذا صار ؟ وإلى ماذا سيؤول هذا الأمر ؟ ولكنه لم ينس قط لافي تلك اللحظة الدقيقة العابرة ، ولا فيما تلاها من لحظات وساعات وشهور وسنين ، واجب البر بوعده الذي اقتطعه على نفسه يومئذ لتلك الشخصية النبيلة المتنازة .

عبد القوسى الوصارى

وكان الفتى منتبهاً بهذا العهد الجديد أيما اغتباط ، وقد شعر المدير بما يحمله قلبه من حرص واجتهاد ، فاقصر في إغداق المساعدات عليه ، وحياء بمختلف الرغد والموتة ، وسار يمهده إليه ، فوق ذلك ، يبعث المهام زيادة في تنشيطه ورفماً لمستواه الفكرى في ميدان الأعمال الإدارية والاجتماعية .

وقد ظل على ذلك النوال حتى إذا أكل مقررات الدراسة العالية دخل فحماً طويلاً مرهقاً ، ويخرج منه وقد نال أرقام الدرجة الأولى في أغلب العلوم والفنون ، وبذلك أخذ الشهادة العالية في طليمة من أخذها .

وكم كان اغتباط المدير بنجاح الفتى ونجاح زميله معه ، هذا النجاح الباهر الرموق ، وكان القتيان الزميلان يمتلان وحدهما « الفوج الأول » من متخرجى هذا المهدي ... وفي أيام الاختبار الذى تخرج منه الفتى لوح المدير له بأنه سيمينه عقب نجاحه مدرساً مميذاً بالدرسة غير أن ضرورات اجتماعية دعت الفتى إلى أن يقبل وظيفة كتابية بديوان إمارة المدينة المنورة ، وقد أحس يومئذ بشيء من وخز الضمير تجاه مديره الذى طالما عطف عليه فذهب